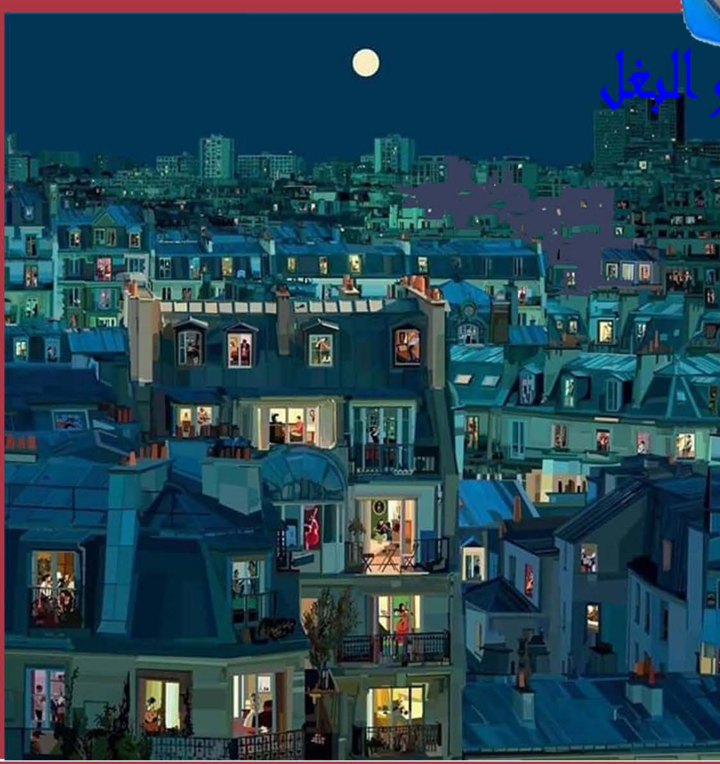
ماهر شرف الدين

أطفال تأخَّروا عن موعد النوم



أطفال تأخروا عن موعد النوم

٩

ماهر شرف الدين

أطفال تأخروا عن موعد النوم

شعر

الطبعة الأولى، 2021

منشورات ماهر شرف الدين

ISBN: 978-0-9995375-1-0

إلى سَحَر

مغارة الإلهام

الإلهامُ في الشعر يقعُ في مغارةٍ عجيبةٍ تقعُ في متاهةٍ عجيبةٍ في عقل الشاعر. تفتح المغارةُ مرَّةً في السنة، وفي معظم الأحيان يكون الشاعرُ نائماً.

الشعراء التافهون يحاولون الوصول إليها بالخرائط.
الشعراء العظام يصلون إليها بالحبّ.

ذات يوم فُتحت المغارةُ لي وكان بين يديَّ ألبوم صورٍ قديم. دخلتُ إليها. تأمَّلتُ كنوزها من الكلمات والصور الشعرية التي لم تخطرْ قَطُّ في بالِ شاعر. لم ألمسْ شيئاً. لم آخذْ شيئاً.

وقبل أن يُغلقَ البابُ خرجتُ مُدوَّخاً بنكهة السِّحْرِ؛ سحْر أن تكون أمام الكنز ولا تأخذ شيئاً.

لمْ أندمْ أبداً، فقد خرجتُ بإحساسِ مَنْ طبعَ ديواناً عظيماً من الشعر غير المألوف. وإلى اليوم كلَّما عددتُ دواويني تركتُ فراغاً لاسم ديوانٍ مفقودٍ لا أذكر كلمةً منه ولم أكتب كلمةً فيه.

الشعر

ليس هناك من هو أرقُّ منكَ
فتدفَّقْ أيها الشِّعرُ
سأكون مجراكَ الطويلَ
وسأترك قلبي مع الحصى
لتجرفهُ إلى أرضٍ جديدةٍ.

يا حياتي
التي ظنَّها الآخرون كلماتي!

المشاعر

مع العمر، تنضج المشاعر كالأفكار.

تبدأ المشاعر متهوِّرةً ونحيلةً كأصحابها المراهقين، ثمَّ تكبر وتمتلئ. ثمَّ تعقل وتندم. ثمَّ تصمت وتتأمَّل... وتبدأ القصائد العظيمة بالبزوغ.

الطرائد

في بداياتي الشعرية كنتُ مجرَّد صيَّادٍ ماهرٍ يطارد الاستعارة والصورة والكلمة كطرائدَ سريعةٍ.

أحياناً كنتُ أصطاد قصائدَ قصيرةً أُزيِّنُ بها الديوانَ كما يزيِّنُ صيَّادٌ خصرَه بحبلٍ من العصافير المسكينة.

وأحياناً كنتُ أصطادُ قصيدةً رشيقةً أفتتحُ بها الديوان كما يفتتحُ صيَّادٌ نهارَه بصيدِ غزالٍ لحمه طريٌّ وحامض.

وأحياناً كنتُ أصطادُ قصيدةً طويلةً أختم بها الديوان مزهوَّاً كصيَّادٍ متفاخر يلتقطُ صورةً إلى جانب جثَّة كركدن ضخم قَطَعَ قرنَه الثمين.

عندما كبرتُ قليلاً وفهمتُ ما هو الشعرُ الحقُّ، أهديتُه بندقيتي وركضتُ أمامه ليصطادني.

حكمة:

الشاعر المبتدئ صيَّاد.

الشاعر الناضج طريدة.

نظريات

في فترةٍ ما، قرَّرتُ بأنَّ كتابة الشعر تحتاج إلى الصفاء والهدوء والعزلة، فذهبتُ إلى الريف وانقطعتُ عن العالم وكتبتُ مجموعةً من القصائد.

وفي فترةٍ ما، قرَّرتُ بأنَّ كتابة الشعر تحتاج إلى التشوُّش والضجيج والزحام، فعشتُ في مدينةٍ مزدحمةٍ ولم أفارق الأصدقاء للحظةٍ وكتبتُ مجموعةً من القصائد.

اليومَ، لو خلطوا قصائدَ الصفاء بقصائدِ التشوُّش وطلبوا منِّي إعادة فرزها... لما استطعتُ!

أول الشعر

في جبل الدروز، حيث انحدرتُ من قمَّة الجبل إلى الجرن الكبير في دار جدِّي كأنني مهرٌ أضاع أُمَّه الفرسَ وكبرَ وعاش بعينَيْن دامعتَيْن... جرَّبتُ كتابة القصيدة الأُولى.

في جبل الدروز، حيث الشعرُ طريقةٌ للعيش وليس طريقةً لرصف الكلمات... جرَّبتُ طريقةً ثالثةً.

في جبل الدروز، حيث وصفُ السعادةِ على مُحيَّا الفلَّاح وهو يُقفِّرُ(*) السَّمْنَ لضيوفه ستكون المحاولة الأولى لكلٍّ من أرادَ أن يكون شاعراً حقّاً.

(*) *تقفير السَّمْن: سَكْبُه ساخناً بطريقة معيَّنة فوق الطعام المقدَّم للضيف كنوع من الاحتفاء به، وهي عادة شائعة لدى الدروز.*

السياق

انزعْ جملةً عاديَّةً
من سياقها
وألصقْها على جدارٍ
ألصقتْ عليه مراهقةٌ
صورَ ممثِّلين فتنوها
ومطربين غيَّروا حياتها
بأغنياتهم.

انزعْ الكلماتِ من سياقها
وأطلقْها حرَّةً على الجدران
لتفترس الصورَ السمينةَ
وتحيا كالذئب بينها.

السياقُ استبدادٌ
والكلماتُ الحرَّةُ
هي التي، وحدَها،
تصنع الشعر.

القابلة

أحياناً تعيش القصيدةُ سنةً كاملةً على شكل جملةٍ مكتوبةٍ على هامش ورقةٍ في دفتر ملاحظات.

في تلك الأثناء تكبر وتنمو بعيداً عني، وحين تكتمل
أجيءُ إليها وأكتبُها كقصيدةٍ كاملةٍ؛
أنا القابلة التي ظنَّها الناسُ شاعراً.

قصائد طويلة

في الفترة الأخيرة صرتُ ميَّالاً إلى كتابة القصائد القصيرة. القصائد المحشوَّة جيِّداً بمِزَقٍ صغيرةٍ من قماش الروح.

في الفترة الأخيرة كتبتُ العديدَ من القصائد الطويلة، لكنِّي لمْ أُكملْ أيَّاً منها. أحسستُها متأخِّرةً عن زمانها، وتحاولُ التعلُّقَ بذيلِ زمنٍ ليس لها.

وحين أردتُ حذفها انتبهتُ إلى أنها مجموعة اقتراحاتٍ غريبةٍ لبداية فيلمٍ سينمائيٍّ غير قابل للاكتمال!

واجهات المكتبات

يظلُّ الزجاجُ زجاجاً إلى أن يصبح واجهةَ مكتبةٍ. عندئذٍ تتغيَّر المشاعر ويبدأ الحبّ.

يصبح الزجاج بشرةَ امرأةٍ
ألمسُها،
فنتورَّد معاً.

أجمل الكتب

أجمل الكتب
تلك التي اشتريتُها عن الرصيف
بقليلٍ من المال
وكثيرٍ من الحبّ.

مراجعات

غالباً ما أعودُ
لقراءة كتاباتي القديمة
وأنا أحملُ فضولَ القاتلِ
بمعرفةِ هيئةِ الضحيةِ
في اليوم التالي للجريمة.

وقت الشعر

وحينما يظنُّ الجميعُ
بأنَّ السياسةَ ملكتْ حياتي
يأتي الشِّعرُ ليأخذني من يدي
إلى مصطبة دارنا القديمة
ويُسلِّمني دفتراً وقلماً
وكمشةَ ترابٍ من قبر جدِّي.

جريدة حكومية

في طفولتي وصباي
لم يُلطِّخ حبرُها الرديءُ
إلا أطراف أصابعي
وأنا آكلُ عرائس الزيت والزعتر
التي كانت أُمِّي
تلفُّها لي بورقها.
(غيري لطَّخت عقلَه).

شاعرة لا يعرفها أحد

هَجَرتِ الشعرَ وتفرَّغتْ للعبادة
حدثَ ذلك سنة 2001.

حاولتْ أن تشدَّني إلى الدِّين
وحاولتُ أن أشدَّها إلى الشِّعر
ولم يبقَ من تلك المحاولات
إلّا شذرة من قصيدةٍ لها
علقتْ بذاكرتي
كما تعلقُ مناديلُ المودِّعين
بقطارٍ مسافرٍ:
«أحياناً يحتاج البحرُ لبحرٍ آخر يغرق فيه».

شاعر ما قبل الأربعين

قبل أن أبلغ الأربعين
نظرتُ إلى الشعر كمُسكِّنِ ألمٍ
فكتبتُ قصيدتي كما
يكتبُ الطبيبُ وصفةَ دواءٍ
ولكنْ بخطٍّ مقروءٍ.

قبل أن أبلغ الأربعين
ملأتْ رفوفَ دواويني العقاقيرُ
وكان الأصدقاءُ
يتعاطونها للشفاء.

قبلَ أن أبلغ الأربعين
ضيَّعتُ أربعين سنةً!

زجْر

إذا لمستَ كلمةً
ووجدتَها باردةً
اترُكْها
ولا تضعها في القصيدة.

تحسَّسْ حرارةَ الكلمات
قبل تدميرها.

أزرار

أمام الكيبورد، وليس لديَّ أي فكرة للكتابة. أعبث بأزراره كما أعبث بعلَّاقة المفاتيح حين أكون في انتظار أحدٍ ما.

توضيح

في زمن الحرب، لا يكون الحبُّ صعباً، بل تكون الكتابة عن الحبِّ هي الصعبة.

في زمن الحرب، قلوبنا تقدر على الحبِّ، لكنَّ أصابعنا تكون أسرى ككلِّ أسرى الحروب.

تقرير رسمي

مستغلَّةً تدفُّقَ الدموعِ
تمرُّ القصيدةُ
كبضاعةٍ مُهرَّبة.

الأغانـي الأجنبية

في الأغاني الأجنبية التي لا أفهم معناها أضعُ كلماتٍ عربيةً مكانَ الكلمات الأصلية وأبدأُ بدندنتها.

هكذا أؤلِّف الشعرَ
للموسيقى التي أحبُّ
وأكون الشاعرَ الأصليَّ
لأغانٍ ألَّفها سواي.

الكوع

كلَّما وصلت الأغنيةُ إلى أجمل مقطعٍ فيها -وأنا أقود سيَّارتي- يأتي كوع الطريق! وبدل أن أسوق بأقصى سرعةٍ للحاق بإيقاع الأغنية الصاخب أُبطئ إلى درجة التوقُّف للالتفاف يميناً!

كأنها الحياة؛
في اللحظة التي تُتاح فيها السعادة
نُضطرُّ للإبطاء والالتفاف
فيضيع الإيقاع!

القلعة الساخرة

القلعةُ التي قاومت الغرباء بشراسةٍ تستقبل أحفادهم بجفاوةٍ. القلعة التي كانت مقبرةً للأجداد الغزاة صارت مقصفاً للأحفاد السيَّاح.

يا لهذا المكان الساخر كأيِّ كاتبٍ كبيرٍ!

مكان آخر

«لا تقلقي
قليلاً وأعود»

هكذا أجبتُ زوجتي
التي غافلتني
وأنا أكتب وأبكي.

شخصيتي

في لحظات الفرح
أتذكر الحزنَ
رفيقَ دربي المخلِص.

وفي تقييم الشِّعر
أسترشدُ بدمعتي.

خلاصة

بتأمُّلِ الضفاف
استعدتُ ذكرياتٍ ضائعةً
وبتأمُّلِ الأعماق
استعدتُ ذكرياتٍ لم تكن لي.

يوماً
لــمْ يخذل
الشعرُ شاعراً.

مرثية شاعر مغمور

غافلَه المرضُ
كما غافلهُ الشعرُ من قبل
تعوَّد على إدارة الظهر للأشياء
فتعوَّدتْ على مغافلته.

ماتَ على الكَنَبة التي
في حشوةِ مسندها
خبَّأَ كُتيِّبَ اعترافاته.

الغائب 1

ساممِحْنا!

لقد انتبهنا إلى غيابكَ متأخِّرينَ
كمن ينتبه إلى وجود زجاجٍ
بفضل الغبار الذي تراكمَ عليه.

ساممِحْنا!

«قاتل طليق»

في وثائقيات الجرائم
عادةً ما تمرُّ
بصوتِ المذيع العريض
مصطلحاتٌ شعريةٌ
أكثرها سحراً وقوَّةً
مصطلح «قاتل طليق».

للحظةٍ
أنسى التفكير بلغز الجريمة
وأفكِّر بلغز الكلمات!

لقطة قاتل تسلسليّ
في فيديو كاميرا مراقبة

أن ترى قاتلاً تسلسلياً على شاشة السينما
غير أن تراه في فيديو كاميرا مراقبة بالأبيض والأسود.

ليست دقَّة الصورة هي ما يختلف فحسب
بل دقَّة الإحساس أيضاً.

التشويش في صورة الفيديو
سرعان ما ينتقل إلى المشاعر
كأنما دارة كهربائية!

شعرة الروح

في صدري شعرةٌ بيضاء طويلة جداً ورفيعة جداً كأنها خيط عنكبوت. اكتشفتُ وجودها ذات يوم وأنا بقرب النافذة، حين أضاءها نورُ الشمس. ومنذ ذلك اليوم وأنا أدعوها - بلا سبب واضح - «شعرة الروح».

حمار الوحش

حمار الوحش هو البروفة على الـخَلْق التي أنجزها اللهُ بقلم رصاص، ولـمْ يُكملها، ولـمْ يـمحُها... وتركَنا حائرينَ أمام الحمار العادي؛ المكتمل والقبيح.

أوتستراد

أغمضتُ عينيَّ وقطعتُ الأوتستراد ببطءٍ. كنتُ أسمع أصواتَ زماميرِ السيَّارات وهيَ تزعق بي من بعيدٍ، وكأنها حياتي التي تصيح بي: اركضْ أيها الأحمق!

رؤوس الآخرين

في ذاكرة الآخرين
لقطاتٌ لا تُحصى عنِّي
بعضهم يُخبرني عنها
وبعضهم يتكتَّم عليها
وبعضهم لا أذكرُ
أنِّي قابلتُه يوماً.

يُؤرِّقني عجزي عن
جمعِ حياتي المتناثرة
في رؤوس الآخرين.

الخابور

هناكَ،

في مدينة الحَسَكة،

ما تزال طفولتي تُسابق نهرَ الخابور

وتتدفَّق مثله.

الآنسة ماجدة

حين سألتقي معلِّمتي في المرحلة الابتدائية، الآنسة ماجدة، سأقول لها:

ذلك الطفل قد ماتَ

وأنا شخصٌ آخر.

حقيقة علمية رقم 1

مهما ادَّعى الرجالُ وتحدَّثوا عن مُتَعِهم العديدة من جنسٍ وطعامٍ وصيدٍ... يبقى تأمُّلُ وجهِ امرأةٍ -لا يمكنهم الوصول إليها- مُتعتَهم التي لا تُضاهى.

الناجيان

بما يشبه المعجزة
نجا سنجابٌ من الدهسِ
بعجلات سيَّارتي
ونجوتُ معه
من فكرةِ أنني،
ذات يوم،
سفكتُ دماً.

راديو البحر

بالنسبة إليهم
البحر لوحةٌ طبيعيةٌ عملاقةٌ.
وبالنسبة إليَّ
البحر راديو.

فالأمواجُ مجرَّد أصداء
للصوتِ الهائل الـمُسمَّى بحراً.

وهكذا
ومنذ ما وعيتُ
يسبحُ الناسُ في البحر
وتمخرُ السفنُ عبابَ البحر
أمَّا أنا فقد حملتُه
كعلبة الراديو
وصعدتُ به إلى الجبال!

الغائب 2

كمرساةٍ ثقيلةٍ
يحمي صوتُكَ الجَهْوَريُّ ذكراكَ
من أن تجرفها الأمواجُ
بعيداً عني.

رفقة

الحزنُ ينتظرُ الليلَ
ليجيئا معاً
كأنهما رفيقان.

أيها الليل اعملْ معروفاً
في المرَّة القادمة
وتعالَ وحدك.

الدامعون

الدامعون
لأبسط الأشياء؛
هؤلاء البشر المقدَّسون.

Stop

أُدينُ لمحطّات الفشل في حياتي بملاحظة التفاصيل الرائعة التي أهملتُها في رحلة اندفاعي نحو تحقيق الأحلام الكبرى تماماً مثلما أُدينُ للوحات المفترقات الطُّرقية التي تحمل أمرَ «Stop» بملاحظة الجماليات المعمارية للمنازل التي كنتُ مضطرّاً للتوقّف قبالتها.

أُختي والمرآة

إلى أُختي سماهر

يا لها من لحظةٍ
تلك الذكرى الفلسفية
التي صنعتها أُختي الصغيرة
حين جاءت مرعوبةً
وهي تقول بأنها
نظرتْ إلى وجهها في المرآة
وخافتْ من شكلها
وكأنها تنظر إلى
كائن غريب!

يومها انفجرنا بالضحك
ولكنْ في داخلِ كلٍّ منَّا
كان الرعبُ يدبُّ
لهولِ الفكرة الصاعقة!

صديقة السناجب

كلَّ صباح
تضعُ حفنةً من البزر أمام بابها
منتظرةً قدوم سنجابٍ
يفهم معنى تلك الشراكة
الغامضة بينهما
في حفنةٍ من البزر والحبّ.

العصفور والكاميرا

البارحة
بكاميراها
اصطادت زوجتي عصفوراً
أحمرَ الصدر
وتفاخرتْ كأيِّ صيَّادٍ
بصيدها.

العصافيرُ
لكي نصطادها بالكاميرا
لا بالبندقية.

أنـف

من بين جميع النساء
صنعتْ هذه المرأةُ
جلَّ أُنوثتها
من اللطف.

كانت لطيفةً
ولو سألتَ من رآها
عن سرِّ لطفها
لأجابَ بصيغةِ الجزم:
أنفها الصغير.

المنشفة

وأنا أُنشِّفُ جسمي
شممتُ عطركِ في المنشفة
سأستحمُّ دائماً بعدكِ
لأستخدم المنشفة ذاتها.

أحياناً
لا يحتاج الشعرُ لكي يولد
إلى أكثر من منشفةٍ عاديَّةٍ
سبقتِني إلى استخدامها.

غيابكِ

في غيابكِ
لا موجة واحدة في السرير
لا موجة واحدة في البحر
كأنَّ البحر قد مات!

جهل العطارين

أطيبُ عطرٍ
رائحةُ جسدِ امرأةٍ تحبُّها.
هي ذي الحقيقة التي لمْ يدركها العطَّارون.

لو كنتُ عطَّاراً
لجمعتُ رائحةَ هذه المرأة في قارورةٍ
لكني -ولأني شاعرٌ-
أحاول جمعها في كتابٍ.

حقيقة علمية رقم 2

في الحبِّ
لا يذوق الشخصُ
طعمَ جسدِ الآخر
بل طعم جسده هو.

في الحبِّ
نتذوَّقُ أنفسَنا.

رائدا فضاء

السريرُ
في تلك الليلة
تحوَّل إلى مركبةٍ فضائيةٍ
وكنَّا -لشدَّة الخفَّة-
رائدَيْ فضاء عاريَيْن
خارج مجال الجاذبية.

متحف «هنري فورد»

زائرُ متحف «هنري فورد»
بعد التهاب مشاعره
إثرَ اصطدام عينَيْه
بتُحَفِ الصناعات الأُولى
المعروضة كمفخرةٍ أميركيةٍ
ستشغل بالهُ، أوَّلاً،
كيفية تحويل
كلِّ هذا الحديد
إلى مكابحَ أو كلماتٍ!

طوق نجاة

الحجارة المبلَّلة عند ضفَّة النهر
هي الجزء المفقود من حياتكَ القاحلة
إذا استعدتَها
ستنجو.

سحر الشعر

أكتبُ عن اللحظة التي لا نفهم فيها لماذا يغدو البكاء مُغرياً إلى هذه الدرجة. أكتبُ عن اللحظة التي يبدو فيها عدمُ البكاء تفريطاً بنعمةٍ إلهيَّةٍ غامضة.

منزل الشبح

المرورُ بعد سنواتٍ
أمامَ منزلٍ سبقَ أن عشتَ فيه
ولكَ فيه ذكرى عاطفية خالدة
يجعلُ قلبكَ غزالاً عالقاً
وسط حَلْقةٍ من الذئاب.

المرورُ أمام منزلٍ غادرتَهُ
بينما رفضتْ ذكرياتكَ المغادرة
يجعلُ روحكَ -لشدَّة ثِقْلها-
ترسبُ في قعرِكَ.

الرأسُ الذي مرَّ ظلُّه الآنَ
من وراء الستارة
ليس رأس المرأة القاطنة حديثاً
بل رأسكَ أنت.

والحياةُ الضاجَّةُ في المنزل
والتي تراها من النافذة المضاءة
ليست حياة الساكنين الجدد
بل شبحُ حياتكَ السابقة.

فضلُ الجبال

بفضل الطائرات
رأينا سطوحَ قُرانا ومُدننا من أعلى.

الأسلافُ رأوها
بفضل الجبال.

لولاها
لقتلتهم الحسرة.

ليلة باردة

أنا
الضوءُ المنصوبُ
على طريقٍ موحشٍ
لعلَّ أحداً يمرُّ فيه.

الوجود الفيزيائي للذكريات

الذكرياتُ موجودةٌ
كالطاولة والحائط والباب
الغريب أننا لا نراها
بل فقط نصطدم بها!

حشوة المخدة

كنزاتي الصوفية القديمة
صارت حشوةً للمخدَّات
تقول أُمِّي بأنها
كلَّما وضعتْ رأسها على مخدَّةٍ
سمعتْ صوتي.

إيمان

تُؤمنُ أُمِّي
بقدرة دعائها
على تغييرِ
مساراتِ حياتي
وكلَّما للدعاء
رفعتْ يدَيْها
سطعتْ شمسي.

مقاربة ناقصة

الحزن في عينَيْن انتهتا من البكاء للتوِّ
الحزن في عينَيْن ليستا قادرتَيْن على البكاء
الحزن في عينَيْن عمياوَيْن
الحزن في عينَيْن مرسومتَيْن في لوحةٍ معلَّقةٍ على جدارِ
غرفةٍ يعيش فيها طفلٌ مصابٌ بالتوحُّد...

صيد الأحلام

كلَّ ليلةٍ
أستيقظُ لاهثاً
بسبب حلمٍ ما.

ومثل صيَّاد لؤلؤ
خرجَ إلى سطح الماء
لالتقاط أنفاسه
أعود إلى النوم مجدَّداً
لصيدِ حلمٍ آخر.

مغارة الإلهام ثانيةً

قصائدُ كثيرةٌ من هذا الديوان كُتبتْ صباح يوم 24 آب 2018. وكأنما المغارة فُتحتْ ثانيةً فغيَّرتُ رأيي ومددتُ يدي.

المحتويات

صدر للمؤلِّف

في الشعر:

- الرسَّام (1999)
- ملحق الشعراء السرِّي (2001)
- قصيدة فاطمة (2004)
- العروس (2007)
- تمثال امرأة تتجرَّع السمّ (2008)
- حصاة في كُليتي اليسرى (2013)
- السوريون شجر (2017)
- قبورٌ صغيرة (2021)
- أطفال تأخَّروا عن موعد النوم (2021)

في السرد:

- لحظة وفاة الدكتاتور (2011)

في النقد الأدبي:

- محاكمة الشِّعر (2021)

في الثقافة:

- فضائح الآخرين (2021)
- المثقَّف القديم (2021)
- عند تقاطُعِ الفنِّ والسياسة (2021)

في السياسة:

- حكُّ الصدأ (2017)
- مفاتيح (2021)
- مواكبات فكرية للثورة (2021)
- الجانب الصامت من المأساة (2021)

في الفلسفة:

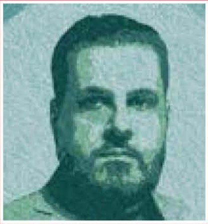
- حقائق من نوع خاصّ (قيد النشر)

منشورات ماهر شرف الدين

من الكتاب

ليس هناك من هو أرقُّ منكَ
فتدفَّقْ أيها الشِّعرُ
سأكون مجراكَ الطويلَ
وسأترك قلبي مع الحصى
لتجرفهُ إلى أرضٍ جديدةٍ.

يا حياتي
التي ظنَّها الآخرون كلماتي!



شاعر وكاتب سوري من مواليد 1977. كتبَ في السيرة والنقد الأدبي والفلسفة والتاريخ والسياسة.

ISBN: 978-0-9995375-1-0